وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

تمثلات السيرة الذاتية في روايات أحمد خلف

رسالة مقدمة
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى ،
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

من قبل الطالب
حسين علي يوسف المعموري

بإشراف :
الأستاذ المساعد الدكتورة
نوافل يونس الحمداني

١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

الفصل الأول
الشخصية السيرذاتيّة وتقانات تقديمها في روايات أحمد خلف

- مدخل :

الرواية أداة فنيّة طيّعةٌ يمكنُ بواسطتها رَصدُ ملامحَ من سيرةِ مؤلِفها ، ولاسيما إذا كان المؤلفُ أحَدَ شخصياتِها ، أو متقنعاً بقناعِ شخصيةٍ من هذه الشخصياتِ ، وعِبر الكشفِ عن شخصيّةِ المؤلف في الروايةِ نستطيعُ تعيينَ الشخصياتِ الأُخرى التي استعارها المؤلف من واقعه السيريّ ؛ لِفرزها عن الشخصياتِ المُتخيلةِ التي اشتركتْ معها في صناعةِ الحدثِ الواقعيّ ، أو المُتخيّل ، فالشخصياتُ في الروايةِ هي مجموعةٌ من الأفرادِ الخياليينَ ، أو الواقعيينَ[1] الذين تدورُ حولهم أحداثُ الروايةِ ((فهم ركيزة الروائيّ الأساسية في الكشفِ عن القوى التي تحركُ الواقعَ من حولنا)) [2] .

ولعلَّ البحث عن سيرةِ المؤلفِ في رواياتِهِ يَمنح القارئ متعةَ الكشفِ عن كلِّ مخبوءٍ ، وجديدٍ ؛ مما يدفعهُ إلى تتبعِ ، واستقصاءِ شخصيّةِ المؤلفِ في رواياتِهِ ، وقصصهِ ((وهكذا تكونُ قراءةُ القصةِ بالنسبةِ إليهِ عمليةَ بوحٍ واعترافٍ)) [3] .

إنّ القولَ بارتباطِ العمل الأدبيّ بشخصية صاحبهِ أمرٌ بدهيٌّ ، فليس ممكناً فصلُ الكاتبِ عن ذاتِهِ ، فهو إنّما يدونُ خلاصةَ تجاربِهِ ، ويُسطّرُ مفاهيمَهُ ، وآراءه الفكريّة ، والسياسية ، والاجتماعية ، وغيرها حتى رأى بعضُ الدارسينَ أنّ ((المتكلمَ في

---

(١) يُنظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وأحمد كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م : ٢٠٨ .

(٢) بنية النصّ الروائيّ ، إبراهيم خليل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، والدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١٧٣ .

(٣) فن القصة ، د. محمد يوسف نجم ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م : ٤٣ .

الرواية هو دائماً ، وبدرجاتٍ مختلفةٍ مُنتجُ أيدلوجيا)) [١] ، وهكذا ((فالشخصيةُ ما هي إلا أحدُ أشكالِ المتكلمِ)) [٢] .

والرواية المُتضمنةُ سيرةَ كاتبها ، أو بعض سيرتِهِ ترتكز على شخصياتٍ سيريّةٍ ، وشخصياتٍ روائيّةٍ تشتركُ في صناعةِ الحدثِ ، وإدارتِهِ ((وتختلف الشخصيةُ السيريةُ عن الشخصيةِ الروائية [في بعدها المرجعي])) [٣] ، فالشخصيّةُ الروائيةُ هي ((شخصيةُ تخييليّةٌ لسانيّةٌ ، فهي من مادةِ اللغةِ ، لا من الواقعِ)) [٤] ، أمّا الشخصيةُ السيريةُ فهي كائنٌ من لحمٍ ، ودم تمتلكُ وجوداً واقعياً في حياةِ المؤلفِ، وسنحاول في هذا الفصلِ رصد نَمَطَي الشخصيات ذاتِ الحضور الواقعيّ بدءًا من المؤلف ، وانتهاءً بمَنْ يمتُّ إليهِ بصلةِ القرابةِ ، أو الصداقةِ في سيرتِهِ الحياتِيةِ استناداً إلى ما صَرَّح به ، أو نشرَهُ مُوثِقَاً إيَّاهُ .

المبحث الأول

(١) المتكلم في الرواية ، ميخائيل باختين ، تر : محمد برادة ، مجلة فصول ، م٥ ، ع٣ ، ١٩٨٥م : ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٣) بنيةُ السيرة الذَّاتية في السرد العراقي الحديث ، آيات صاحب إسماعيل ، (رسالة ماجستير).

(٤) بنيةُ النصّ الروائي ، إبراهيم خليل : ١٩٥ .

نَمَطَا الشخصيّة السيرذاتيّة في روايات أحمد خلف

إنّ القراءة الخطيّة لرواياتِ أحمد خلفٍ (الخراب الجميل ، بوابة بغداد ، موت الأبِ ، الحلم العظيم) تكشف أنَّ المحتوى العام لنصوصها يتشكّل من مواد سيريّةٍ ، أي من ذكريات الروائيّ ، وتجاربِ حياتِهِ الشخصية[١] ، وكلُّ شخصيةٍ اشتركَتْ معه في هذه التجارب ، أو كان لها دورٌ فيها وأميل إلى تسميتها بـ(الشخصية السيرية) ؛ لأنّها دارتْ في يومٍ ما في فلك سيرتِهِ العائليّة ، أو الاجتماعية ، أو المهنيّة ، وتركتْ أثراً في ذاكرتِهِ الشخصية ، أو الثقافية .

ومهمةُ الباحثِ في هذا المبحثِ هي الكشف عن هذه الشخصيةِ ؛ لفرزها عن الشخصيةِ المُتخيلة (الروائية) التي حضرَتْ معها في نصِّ الروايةِ ؛ ليظهرَ للقارئ مدى تَمثُّلِ سيرةِ أحمد خلف في رواياتِهِ .

ولعلّ الروائيّ (أحمد خلف) يهدف عبر توظيف شخصياتِهِ السيرية في رواياتِهِ إلى خلقِ أنموذج مُتفردٍ ، فالشخصيةُ السيرذاتية بملامحها الجسديّة ، والنفسيّة لا يمكنُ أنْ تتطابقَ مع أيّ شخصيةٍ أُخرى تطابقاً تاماً ، لا في الواقعِ ، ولا في الخيالِ ؛ لذلك فدخولها في عالم الروايةِ يعطيها سمةَ التفردِ ، فالروائيُّ الجيّدُ هو الذي يستطيعُ أنْ يبتكرَ ، ويبدعَ في رواياتِهِ شخصياتٍ مؤثرةٍ ، فيشتهرُ المؤلفُ بشهرةِ هذه الشخصياتِ بين الناسِ[٢] .

وجاءَ توظيفُ الشخصيةِ السيرية في رواياتِ (أحمد خلف) – عينة البحث – على خطينِ متوازيين هما :

الأول : استدعاء شخصياتٍ واقعيةٍ ذاتِ مرجعيّةٍ سيريّةٍ للحضور ، والظهور في النصّ الروائيّ (مع نفي التطابق التام) ، ثم انتقاء وقائع عاشتها هذه الشخصيات ، وإدخالها

---

(١) في حوار مع الروائي (أحمد خلف) ، اتحاد الأدباء ، بغداد : ٢٠١٤/٣/١٥م .

(٢) يُنظر : بنية النصّ الروائي ، خليل إبراهيم : ١٧٣ .

في النسيجِ الحكائي للرواية ، فعمليةُ (الاستدعاء والانتقاء) هذه قد تقودُ إلى معرفةِ أُصولِ مشكلاتِ الحاضرِ وأفكارِهِ ، أو إلى فهم الواقعِ الحاضرِ ، وتثويرِهِ[١] .

الآخر : زَجُّ الشخصياتِ ذات المرجعيّة السيريّةِ في حوادثَ مُتخيّلةٍ إلى جانبِ الحوادثَ الواقعيّةِ ؛ لإضفاءِ الفنيّ ، والعجائبيّ ؛ كي يمنحَ النصّ سمةَ الإثارة ، والجمال ، هذا من جانبٍ ، ومن جانبٍ آخرَ ؛ لإخراجِ النصّ من دائرةِ النوعِ السيرذاتيّ ، وبذلك يتحقق (الميثاق الروائيُّ)[*] الذي يقضي بعدم التطابق التام بين النصّ ، والواقعِ ، فيكتسبُ النصُّ هويتَهُ التجنيسيّة كونُهُ روايةً .

والشخصية ذات المرجعية السيريةّ في روايات (أحمد خلف) الأربع مُوَظّفة توظيفاً فنيّاً يهدفُ من حركتها وخطابها تعريةَ الواقعِ ((ذلك الواقع المرير ، وقد إتّسَمَ بالحرمانِ ، وشظفِ العيشِ ؛ مما وَلَّدَ في نفسِهِ الإصرار باستبدال عالمِهِ الضيّق بعالمٍ آخر)) [٢] .

---

(١) يُنظر : تجربة الرواية السوريّة ، سمر روحي الفيصل ، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب ، ط١ ، ١٩٨٥م : ١٩٤ .

(*) الميثاق الروائي على عكسِ الميثاق السيرذاتيّ لا يُصرّح به الكاتب ، ولا يُلزم به قارئه بطريقةٍ تقريريةٍ ، وإنّما يضمن حصول هذا الميثاق إجراءان :

الأول : شهادةُ براءة على عدم التطابق بينَ المؤلفِ ، والراوي ، والشخصيّة الرئيسة يحققها عدم حمل المؤلف ، والشخصية اسمَ العلم نفسه .

الآخر : إثبات المؤلف صلة نصّهِ بالتخييل ، ويحققُ ذلك العنوان الفرعيّ (رواية) .

ينظر : معجم السرديات ، إشراف محمد القاضي : ٤٤٤ .

(٢) الحلم العظيم (رواية) ، أحمد خلف ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٩م : ٣٢ .

فالشخصيّةُ بنمطيها الواقعيّ السيريّ ، والتخييليّ الروائيّ قادرةٌ على تقمصِ الأدوار المختلفة التي يُحملها إياها الروائيّ مما يجعلها في وضعٍ مُقنعٍ ، بحيث بواسطتها يمكنُ تعريةَ أيّ نقصٍ ، وإظهارِ أيّ عيبٍ يعيشهُ أفرادُ المجتمعِ(١) .

ويمكنُ تصنيف الروايات المُختارة بأنَّها رواياتُ شخصيةٍ ، لا رواياتُ حدثٍ؛ لاهتمام الروائي بالشخصية أكثر من اهتمامه بالحدثِ ، لاسيما شخصية البطل التي تَقنَّع بها ، والتي يريدُ عبرها نقل تجربته الذَّاتية ، والتعبير عن إحساسِهِ بالعالمِ والموجودات ، وتقتربُ هذه الرؤية من رؤية الناقد العراقيّ فاضل ثامر ، إذْ يقول : ((ويتضحُ لنا أنّ أحمد خلف هو من الكُتّاب الذّينَ يُقدمون لنا شخصيتَهم الروائية أولاً ثُمَّ يعرضون العالم من خلالها ، أي أنَّ الجوهرَ هو الإنسانُ ، أمّا الواقعُ الخارجيّ فهو مجردُ إطارٍ ، أو ديكورٍ خارجيّ قابلٍ للتعديلِ)) (٢) .

ويمكنُ تقسيم الشخصيات السيرذاتية في رواياتِ (أحمد خلف) التي اشتركتْ معه في تكوين ذاكرتِهِ السيريّة على نمطين اثنين هما :

أولاً : نمط الشخصية السيرذاتية الرئيسة :

إذا كانَتْ رواياتُ (أحمد خلف) الأربع – عينة البحث – هي روايات تضمنَتْ سيرتَهُ ، أو جزءًا من سيرتِهِ ، فلابُدَّ أنْ يكونَ بطل هذه الرواياتِ ، أو الشخصيّة الرئيسة فيها هو الروائي نفسُهُ – وهذا ما سنحاولُ تناوله في هذا المبحث – ، فالخيطُ

(١) يُنظر : في نظرية الرواية ، د. عبد الملك مُرتاض ، عالم المعرفة سلسلة كتب يُصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، ١٩٩٨م : ٩٠ .

(٢) رواية الحلم العظيم بوصفها رواية شخصيّة إشكالية ، فاضل ثامر ، مجلة الأقلام العراقية ، ع١ ، السنة السادسة والأربعون ، ٢٠١١م : ٥١ .

الرابطُ بينَ هذه الرواياتِ هو شخص المؤلف[١] الذي يظهرُ في كلّ روايةٍ باسمٍ مُختلفٍ ، وبملامحَ جسديّةٍ ، ونفسيّةٍ واحدةٍ .

ونجدُ أنّ السيرةَ الذاتيّة في روايةِ (الحلم العظيم) أكثر ظهوراً ، وتمثلاً من الرواياتِ الثلاث الأُخرى ، فقد صَرَّحَ المؤلفُ بإمكنةٍ ، وأزمنةٍ ، وحوادثَ ، وشخصياتٍ لها مرجعيّة واقعية في حياتِهِ ، يقولُ الروائيُ أحمد خلف : ((لا شكَّ أنّ المرتكز الأساس لروايةِ (الحلم العظيم) هو مرتكزٌ واقعيٌّ ؛ لأنَّ الرواية اعتمدتْ استثمار السيرةِ الذَّاتية للبطل ، أو السارد الأول)) [٢] ، فبطلُ الروايةِ (مؤلف القصص والحكايات) ، أو (الولد) ، أو (عبد الله) ((قَدْ نالَ شرفَ تقمصِ ذاتِ أحمد خلف بالتمامِ والكمال)) [٣] .

وبما أنّ العنوان يمثلُ ((نظاماً سيميائياً ذا أبعادٍ دلاليّةٍ ، وأُخرى رمزيّةٍ تُغري الباحث بتتبعِ دلالاتِهِ ، ومحاولة فَكِّ شيفرتَهُ الرامزة)) [٤] نجدُ أنّ (الحلم العظيم) ينفتح دلالياً على شخصيات الرواية التي عاصرتْ المؤلف في مَطلع شبابه ، إذْ لكلّ شخصيةٍ من شخصيات الروايةِ حلمها الخاص بها فـ((حلمُ البطل/المؤلف هو أنْ يصبحَ في المستقبل كاتباً ، أو مؤلفاً للقصص والروايات ، وحلمُ (جواد الحمرانيّ) أن تتحققَ الدولة الاشتراكية عِبرَ انتفاضةٍ شعبية تبدأ بالأهوارِ ، وتنتهي بالمدنِ مروراً بالقرى ، والقصباتِ ، وحلم (جلال كريم) أن يثور الشعبُ على حكامِهِ الطغاة آنذاك ، وحلمُ (الولد الفلسطيني) العودة إلى الديار الفلسطينية بعد تحريرها ، وحلم الأخت

---

(١) في حوار مع الروائي (أحمد خلف) اتحاد الأدباء ، بغداد : ٢٠١٤/١/٢٦م .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الميتاسرد في أعمال الروائي (أحمد خلف) ، مجدي ممدوح ، موقع الناقد العراقي: www . alnaked – aliraqi . net : ٢٠١٣/٣/١٣

(٤) سيمياء العنوان ، بسّام قَطّوس ، منشورات وزارة الثقافة ، عمّان – الأردن ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٣٣ .

الصغرى للبطل أنْ تكونَ سيدة بيت ناجحة ، وهكذا فلكل شخصيّةٍ في الرواية حلمها الخاصّ بها صَغُرَ هذا الحلم أم كَبُرَ ، فهذه الشخصيات واقعية حقيقية دماً ولحماً ، والمؤلف على معرفةٍ تامةٍ بها ، وبالشخصيات الثانوية الأخرى التي سوف تصادف قارئ الرواية عِبر صفحاتها)) [١] .

إنّ رواية (الحلم العظيم) قد نالَتْ حريةَ أوسع من الروايات الثلاث السابقة في التعبير عن الذَّاتِ تجاه قضايا تخضعُ لسلطةِ السائدِ ، والمحظور ، وأهمها السياسة ، والجنس ؛ لأنّها كُتِبَتْ بعد سقوط السلطة الدكتاتوريّة في العراقِ بسنوات ، إذْ وجَدَ أحمد خلف فرصة البوحِ عن المسكوتِ عنه ؛ لذلك سيتخذ الباحثُ من هذه الرواية موجهاً نحو كشفِ السيرةِ الذَّاتيّة لمؤلفها في رواياتِهِ (موت الأب ، الخراب الجميل ، بوابة بغداد) ، فضلاً عن الموجهاتِ الخارجية الأُخرى التي تتمثل في حوارات الباحث مع الروائيّ ، والمقالات ، والحوارات الصحافية المنشورة التي تتناول رواياتِهِ بالنقد ، والتحليل ، وكذلك كتاب (الرواق الطويل) الذي يَضمّ سيرتَهُ الثقافية.

١- ملامحُ طفولةِ المؤلف في رواياتِهِ :

وُلِدَ الروائي العراقي (أحمد خلف) في بلدة الشنافيّة الواقعة جنوب مدينة الدّيوانية سنة ١٩٤٣م ، والتي قضى فيها السنوات الأولى من طفولتِهِ التي لم يُشِر إليها بشكل واضح في رواياتِهِ ، إنّما تركزَتْ سيرتُهُ بعد هجرةِ العائلة من الديوانية إلى بغداد سنة ١٩٥٦م[٢] عندما أصبحَ أحمد خلف في الرابعة عشرة من عمره .

---

(١) من حوار مع الروائيّ (أحمد خلف) ، اتحاد الأدباء ، بغداد : ٢٠١٤/١/٢٦ .

(٢) يُنظر : الوصف والحوار في روايات أحمد خلف ، رجاء عبد داود سلمان ، (رسالة ماجستير) ، بإشراف : د. إيمان محمد إبراهيم العبيدي ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠م : ١ .

أرَّخَ أحمدُ خلفٍ لميلادهِ عِبْرَ (محمود) بطل رواية (الخراب الجميل) كونُهُ قِناعاً للمؤلفِ في هذه الرواية[١] ، إذ يروي السارد العليم عن أمّ (محمود) التي تربط تاريخ ولادةِ ابنها بحركة رشيد عالي الكيلانيّ على عادةِ كِبار السنّ الّذينَ لم يَحظَوا بفرصةِ تعليمٍ ، إذ يؤرخونَ لحياتِهم ، وحياةِ أبنائِهم ، وذويهم بتزامنها مع أحداثٍ سياسيّة ، واجتماعيّةٍ بعيداً عن لغةِ الأرقامِ : ((هي لا تعرفُ بالضبط كم أصبحَ عُمُرهُ بالتمامِ لكنَّها تتذّكرُ جيداً إنَّها ولدته عندما سمعَتْ بحركة رشيد عالي الكيلانيّ عندما جاء الخبر من بغداد ، وهم في بلدتهم جنوب الديوانية ...)) [٢] ، وفي شهرها الأخير من الحمل تذكرُ الأمُّ (نجيبة) الحوار الذي دار بينها وبين زوجها (سعيد) حول تسمية المولود الولد – كما تتمنى أنْ يكونَ – ، تقول : ((ماذا سنسميه ؟ قاسم ... سلمان ... رحيم ... لماذا لا تقولُ لي ماذا سنسميه أنتَ . أنتَ يجب أن تسميه ، وقال لها ضاحكاً : سيكون اسمه محمود ، ولم تجبْ بشيء . محمود . سيكون اسمه كذلك . نعم يا سعيد ، هكذا سيكون اسمه ، ولكنْ قل لي لماذا تريد اسمه محمود ؟ ، وهو يشعلُ غليونَهُ النحيف ، وتتعالى منه سحب دخان كثيف ، يقول لها : تَحبّباً لاسم النبيّ محمد (ﷺ) ...)) [٣] ، وفي هذا المقطع الحواريّ نجد المؤلف ينفي التطابق بينَ اسمه الحقيقي (أحمد) ، وبين اسم الشخصيّة المحورية التي تقنّع بها (محمود) ، ولعله يريدُ الإشارة إلى سبب تسميةِ أهله له بهذا الاسم ، هو أنّهم كعادةِ العوائلِ العراقيّة المسلمة

(١) في حوار مع الروائي أحمد خلف ، اتحاد الأدباء ، بغداد : ٢٠١٤/٢٦م .

(٢) الخراب الجميل (رواية) ، أحمد خلف ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، بغداد ، ١٩٨١م : ١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه : ١٣٩ .

تُسمي أبناءها بأسماءِ ، وصفات النبيّ محمد (ﷺ) تَيّمناً ، وتَبرُّكاً به، إذْ أنَّ الأسماءَ (محمد) ، و(أحمد) ، و(محمود) تعودُ كلُّها لجذرٍ لغويٍّ واحدٍ[١] .

إنّ البحثَ في موضوع دخول سيرةُ المؤلف الذَّاتية في نصّهِ الروائي لا يتجه إلى ((البحث المباشر عن المطابقة بينَ الشخصيّةِ الواقعية ، وسيرتها الشخصية ، وقد أصبحَتْ عنصراً في تكوين فنيّ آخر ، إنّما يظهرُ الاهتمامُ بكيفياتِ الاستثمار ، ودرجات الاستلهام)) [٢] .

في الفصل السادس من (الخراب الجميل) يحضر مشهد سيريّ قادمٌ من طفولةِ المؤلف ؛ لِيعمقَ الرؤية السرديّة ويُبَئرَها ، فالشخصية المحورية في الرواية (محمود) يريد إحداث نقلة نوعيّة في حياته ، فهو يرفض السكون ، والركون إلى الأقدار ، وأنّ الإنسانَ لابُدَّ أنْ يصنعَ قدرَهُ بنفسِهِ ، ولا ينتظرَ المعجزات ، أو أنْ يخرج له ماردٌ من طوطمِهِ فيلبي له ما يريد بفعل خاتم سليمان ((أيام كانَتْ جدتُهُ تجلسُ بجانب النارِ ، وتسردُ عليهم الحكايات ، لقد مضى زمنُها ، وأصبحَتْ تثيرُ ضحكَهُ ، وشجنَهُ في تلكَ الأُمسيات كان يُصغي شاردَ الذهن إلى صوتِ الهامسِ ، وهو يُتابعُ حكاياتِهِ العديدةَ حتى ينامَ .. لكنّه تثاءب كَذِباً ؛ لكي يستطيع النومَ ؛ ليحلمَ بالأميرة العاشقةِ ، وهو إذْ يلتفتْ يساراً ، ويميناً لا يجدُ ثمةَ أميرة ، ولا أميراً يُصغي إليهِ ، والجدةُ أسلمتْ نفسَها ، وماتَتْ منذ اثنتي عشرة سنة[*] ، ولوَّح ذراعَهُ في الهواءِ استخفافاً ...)) [٣] .

---

(١) يُنظر : لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور الأفريقي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٤م : ١٥٧/٣ .

(٢) يُنظر : موسوعة السرد العربي ، د. عبد الله إبراهيم : ٤١٢ .

(*) أكَّد الروائي للباحث واقعية هذا التاريخ ، إذ توفيتْ جَدَّتهُ قبل اثنتي عشر سنة من تاريخ كتابة الرواية : حوار مع الروائي أحمد خلف ، اتحاد الأدباء ، بغداد : ٢٠١٤/١/٢٦م .

(٣) الخراب الجميل : ١١٦–١١٧ .

وفي رواية (الحلم العظيم؟) نقتنص لمحة من طفولةِ المؤلفِ في بلدتِهِ الجنوبيّة (جنوب العراقِ) يذكرُ فيها أنّهُ ((لا يجيدُ من ألعابِ الصِّبا غير السّباحةِ ، التي تعلمها عندما كان صغيراً في بلدتِهم الجنوبية ، وركوب الدّراجات الهوائية ، حينَ كانَ يَضطرُ إلى سرقةِ دراجةِ أخيهِ الكبيرِ ساعة يركنُ الأخيرُ إلى النومِ ؛ لِيدورَ في الأزقةِ الضيقةِ)) [١] .

يبدو أنَّ ذاكرةَ الروائيّ شحيحةٌ من مشاهد الطفولةِ التي عاشها في بلدتِهِ الجنوبية (مسقطِ رأسِهِ) ، وهذا واضحٌ من قلةِ المشاهد ، والاسترجاعات التي وظّفها في رواياتِهِ ، فهو لا يذكرُ منها سوى جَدّتِهِ ، وحكاياتها التي عَلِقَتْ بذاكرتِهِ ؛ لميلهِ الشديد للسرد ، أو أنّها أيقظتْ فيه ذلك السارد الذي سيصبحُ في قادمِ الأيامِ قاصاً ، وروائياً .

٢- شخصيّة المؤلفِ في مراهقتِهِ :

تبدأ هذه المرحلة بعد هجرةِ العائلةِ من الديوانية إلى بغدادَ سنة ١٩٥٦م ، ونلاحظ أنّ المؤلفَ بعد هذه السنة قد تجاوز سن الثالثة عشرة ، ودخل في الرابعةِ عشرة إيذاناً بدخولِ سن المراهقة ، وهو عمر (محمود) قناع المؤلف في رواية (الخراب الجميل) يوم هاجرتْ عائلتُهُ من جنوب الديوانيّة إلى بغداد ، فالأبُ يتذّكرُ صورةَ ابنه (محمود) – يوم هجرتهم – ، ((وتلك الفتوة الطافحة قبل أنْ يأتي بهم (العائلة) إلى هنا ، يومها كانَ محمودٌ ابنُ الرابعة عشرة ...)) [٢] ، وتفتحَتْ عند الولدِ المراهقِ رغبةٌ جنسيّةٌ عارمةٌ دفعتهُ إلى التلصص ليلاً على غرفِ المتزوجينَ ، أو اختلاس النظر إلى أجسادِ النساءِ وهُنَّ يُمارِسْنَ أعمَالهُنَّ اليومية ، ففي روايةِ (موتِ الأبِ) ، نجد السارد

(١) الحلم العظيم : ١٠ .
(٢) الخراب الجميل : ١١١ .

الثاني بائعُ التحفيات (صاحبي/يوسف) ، وهو القناع الثاني للمؤلفِ في هذه الرواية[١] يسترجعُ ذكرياتَهُ عن أيامِ مراهقتِهِ ، يقول : ((ما كُنَّ يغبْنَ عن نظراتي وتَلصُّصي ، وكثيراً ما كنتُ أتلقَّى صيحاتَهُنّ ، واحتجاجهُنَّ على مراقبتي لحركاتِ أجسادهِنَّ ، احتجاجاً يتسمُ بالسخرية ؛ لأنّ دناءتي تعدّدّتْ حدودها في مضايقتهُنَّ ...)) [٢] .

وفي (الحلم العظيم) يُفاجئنا المؤلفُ من الصفحةِ الأولى بهذا السلوكِ الشخصيّ (التّلَصّصُ) إيذاناً بسردِ ذكرياتِهِ من مرحلة المراهقة الذي مارسه نيابة عنه بطل الرواية (الولد) ، فـ((ذات ليلةٍ باردةٍ اكتشفَ الولدُ أنَّ همسَ المتزوجينَ في غرفِ النومِ يُسمعُ بعد الحادية عشرة ؛ ولأنّ نوافذَ البيوتِ تكادُ حافاتُها تلامسُ أرضَ الزقاقِ ، فإنّ الكلماتِ تعبرُ إليه واضحة ... أصاخ السمع في الهواء ، والزُّقاقُ خالٍ ، والقلبُ يرتجفُ)) [٣] ، وقد قام بهذا السلوك نفسهِ (السارد الثاني/القناع الثاني) في رواية (موتِ الأب) الذي تبادل مع الشخصية المحوريّة (أمجد) دور سارد الأحداث ، إذ اتخذ المؤلفُ منهما قناعين يروي عبرهما أجزاء من تجربتِهِ الشخصيةِ منتقلاً إلى تجاربَ أُخرى تتسمُ بالموضوعيّة ، أو الكليّة تخصُّ الناس الآخرين[٤] ، فيروي سلوكه في مراهقتِهِ على طريقةِ (الفلاش باك) هذا السلوك الذي يتطابقُ مع سلوكِ الشخصيّة المحورية في (الحلم العظيم) ؛ مما يعزّزُ واقعية هذا السلوك الذي تَسَرَّبَ من ذاكرةِ المؤلفِ إلى أبطالِ رواياتِهِ ، يقول : ((كانت سلوايَ في ساعاتِ الليلِ التلصص على غرفِ الدَّارِ ، وساكنيها ... رأيتُ هناك امرأةً ورجلاً على سريرٍ واحدٍ ...)) [٥] ، ولعل تلك الرغبة في التلصص ظلتْ قائمة في أكثر من رواية .

---

(١) في حوار من الروائي أحمد خلف ، اتحاد الأُدباء ، بغداد : ٢٠١٤/١/٢٦م .
(٢) موت الأب (رواية)، أحمد خلف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ١٧.
(٣) الحلم العظيم : ٩ .
(٤) يُنظر : الرواق الطويل ، أحمد خلف : ١٣٩ .
(٥) موت الأب : ١٥ .

٣- أنموذج شخصيّة (مؤلف القصص) :

استقرَتْ عائلةُ الروائي (أحمد خلف) بعد هجرتِها من الديوانية إلى بغداد في منطقة الكاظميّة بعد أن استأجرَ الأبُ غرفةً في دارٍ هناكَ ، وانتظمَ أحمد خلف – الابن الثاني لهذا الأب – في ثانوية الفجر من العام ١٩٦١-١٩٦٣م[١] .

نجدُ أنموذجَ شخصية بطل رواية (الحلم العظيم) يُماثل شخصيّة الروائي أحمد خلف إلى درجة المطابقة ، ففي هذه الروايةِ أرادَ المؤلفُ تمثيل سيرتَهُ الذَّاتية في عقد الستينات من القرن العشرين (١٩٦١-١٩٦٩) ، وهي مرحلة مهمة من حياةِ المؤلفِ التي شهدَتْ ولادةَ موهبتِهِ الإبداعيّة بوصفه مؤلف قصص وروايات ، هذا من جانب ، ومن جانبٍ آخر تسجيل شهادتَهُ على حدثٍ مهم من تاريخ العراقِ السياسيّ هو انتفاضة شباب اليسار العراقي في الأهوار[٢] ، إذْ تتوزع هذه الرواية على ثلاث ثيماتٍ رئيسةٍ هي : ثيمة العلاقة مع الجارة السمراء ، وثيمة انتفاضة شباب اليسار العراقي (الذين انشقوا عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي) ، وثيمة الأخ الأصغر العليل ، والخيط الرابط بينَ هذه الثيمات الشخصيّة المحورية (مؤلف القصص والحكايات) التي هي قناعُ المؤلفِ في الروايةِ[٣] .

وظَّفَ (أحمد خلف) سيرتَهُ في صناعةِ روايةٍ تنتقدُ الواقع ، إنَّهُ لا يريدُ كتابةَ سيرةٍ ذاتيّةٍ تُخَلّدُه على صفحاتِ كتابٍ فحسب ، بل وظَّفَ ذاكرتَهُ الشخصية ؛ لكشفِ واقعٍ مهملٍ ، وتفاصيل لم تظهرْ إلى العلنْ عبر شخصياتٍ ، وأمكنةٍ ، وأزمنةٍ ذاتِ

---

(١) يُنظر : الرواق الطويل ، أحمد خلف : ١٩٦ .

(٢) ينظر : العراق الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار ، حَنّا بطاطو ، تر : عفيف الرزاز، مؤسسة الرافد للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط ، د.ت : ٤١٣/٣ .

(٣) في حوار مع الروائي (أحمد خلف) ، اتحاد الأدباء ، بغداد : ٢٠١٤/١/٢٦م .

مرجعيّةٍ واقعيّةٍ متوسلاً إلى ذلك بموهبتِهِ الفنيّة في كتابةِ القصصِ والرواياتِ ، هذه الموهبة التي ظهرتْ بواكيرُها الأولى قبل عام ١٩٦٢م مطلع شبابهِ عندما كان مجرد تلميذ يتمتعُ بنعمةِ الكسلِ التام إزاء دروسه بحيث لم يكنْ هذا التلميذ متفوقاً إلا بدرسِ الإنشاء[١] ، ولاسيما عندما كان مدرسُهُ للغة العربيّة شاعراً ، وأديباً معروفاً هو (مظفر النوّاب) الذي كانَ له الأثر في توجيه البوصلة الإبداعية له نحو كتابةِ القصة ، والروايةِ ، وقد أنجز الفتى (أحمد خلف) سلسلة من القراءات تحت إشرافِهِ، ولعلَّ أبرزها روايات آرنستْ همنغواي ، وجون شتاينبك ، ونجيب محفوظ بعد زيارةٍ قام بها الفتى إلى مكتبتِهِ الشخصية في بيتِهِ مع مجموعة من التلاميذ عام ١٩٦٢م[٢] ؛ ولأهمية الأثر الذي تركه الشاعر (مظفر النوّاب) في ذاكرةِ الروائيّ نرى تَمثُّلَ هذه العلاقة في روايتِهِ (الحلم العظيم) ، إذْ ورد تشابه إلى درجة المطابقة بين أستاذ اللغة العربية الجديد ، وبينَ مظفر النوّاب الذي نعته أحمد خلف في سيرته الثقافية (الرواق الطويل) بأنَّه (يتغزل بالريل وحمد) [٣] ، وكذلك ورد ذكره في (الحلم العظيم) بأنَّه (كتب قصيدة الريل وحمد) [٤] ، وهذه علامة سيرية تحيلُ على الشاعر (مظفر النوّاب) الذي اشتهر بهذه القصيدة في الوسط العراقي .

بعد سنة ١٩٦٣م انتقل أحمد خلف (الطالب) من (متوسطة الفجر) إلى (ثانوية الشعب) ، وتقع المدرستان كلتيهما في مدينة الكاظميّة ، ثُمَّ انتقل إلى (اعدادية ابن حيّان) في منطقة (الكرادة الشرقيّة) [٥] ، ولم يستطع اجتياز المرحلة الأخيرة من

---

(١) ينظر : الرواق الطويل : ٣٦ .

(٢) يُنظر : المصدر نفسه : ٣٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٧ .

(٤) الحلم العظيم : ٥٤ .

(٥) يُنظر : الرواق الطويل : ٤٥-٤٦ .

الإعداديّة ، فقد تكرر رسوبه فيها ؛ بسبب انشغاله بقراءة الأدب القصصي ، والروائي ، والكتابة فيه ، مما اضطره في نهاية الأمر إلى الانتقال إلى مدرسة (بيوت الأمة) المسائيّة في مدينة الكاظميّة التي استطاع اجتياز المرحلة الإعدادية فيها سنة ١٩٦٧م[١] ، يقول القاصّ والروائي (أحمد خلف) : ((بعد اجتيازي مرحلة الإعداديّة قدمتُ إلى كليّة الفنون الجميلة ، ولكني لم أُوفق في القبول فيها ، استثمرتُ أوقات فراغي في القراءة المتواصلة ، والمكثفة في الأدب ، ولاسيما الفن القصصي والروائي ، وتعرفتُ في هذه المرحلة إلى الكثير من الشعراء والكُتّاب منهم : سركون بولص ، وعبد الستار ناصر ، وفوزي كريم ، وعبد الرحمن الربيعيّ ، وعبد الرحمن طهمازي ، وعمران القيسيّ ، محمود جنداري ، وزهير الجزائري ، وآخرون)) [٢] ، في هذه المرحلة بدأ يتكوّن لديه الوعي الكتابيّ ، بل ظهرتْ بواكير هذا الوعي عبر الشروعِ في كتابة القصة القصيرة ، وهذه مرحلة مفصليّة ، ومهمة في حياتِهِ ، والتي تُبشر بولادة (أحمد خلف) القاصّ والروائي ، وهذا ما أراد أنْ يُظهره ، ويؤكده عِبر قناعِهِ بطل رواية (الحلم العظيم) الذي نعته في نصّ الرواية بشكلٍ مستمر ، وبإلحاحٍ شديد بأنَّه (مؤلف القصص والحكايات) بعد أن تخلى عن اسمهِ الصريح (عبد الله) الذي أطلقهُ عليه في بداية الروايةِ ، ((وقد أصبح بقدرةِ القادر مؤلفاً للقصص ، وباعترافِ صديقهِ الشاعر راوياً للحكاياتِ ، ولم يَعُدْ ذلك الفتى الغرُّ الذي شبعته نظراتُ الأبِ بنوعٍ من السخريةِ اللاذعة)) [٣] ، فحلم (مؤلف القصص والحكايات/أحمد خلف) هو تحقيق الحضور الإبداعي المُثمر .

---

(١) في حوار مع الروائي (أحمد خلف) ، اتحاد الأدباء ، بغداد : ٢٠١٤/١/٢٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الحلم العظيم : ٣٦ .

إنّ أنموذج شخصيّة (مؤلف القصص والحكايات) هو أنموذج البطل الإشكاليّ اللامنتمي ((الذي يحملُ قيماً إيجابيّة في عالمٍ ينهار ، ومن هنا إشكاليته : أنّه منتمٍ ، ولا منتمٍ في آنٍ واحدٍ ، مُنتمٍ إلى قيم الخير والإنسانية رغم عَدَاءِ مجتمعهِ لها ، ولا منتمٍ إلى قيم مجتمعه المتخلف رغم أنّه يعيشُ فيه)) [١] ، ونجد انعكاس هذا المفهوم على شخصية (مؤلف القصص) في الرواية ، إذْ يقول السارد : ((والمؤلف أسير الفكرة ، وليستْ كلّ فكرة ينبغي أن نصبحَ لها أسرى ، بل الفكرة العميقة المَزهوة بنفسها ، والمتباهية بأحقيتها في الوجودِ ، أو الصراع من أجل البقاءِ ، هذه الفكرة هي التي تمتلك مقدراتنا ، وتتحكم بحياتنا ؛ لأنّها حازَتْ على مستلزمات الوجود الأقوى ... ، لا أنْ يفكر أحدهم أنْ يقتل شخصاً ؛ لأجل الفوز بمال القتيلِ وزوجتِهِ... ، تلك هي فكرة مُشاعة ومُبتذلة ... ينبغي للمرءِ لكي يتطهرَ أنْ يبحثَ عن النقائضِ من الأفكار ، تلك التي تمنحنا حالات من الزهو ، والجذلِ ، ورفاهية غير متوقعة ، وقد تعني في بعضِ حالاتها البراءة المفقودة)) [٢] .

واستمدّ (مؤلف القصص/المؤلف) الكثير من أفكارِهِ ، ورؤاه من قراءاتِهِ المستمرة ، والمُكثَّفة لرواياتِ (دستويفسكي) و(همنغواي) ، و(سارتر) ، و(ألبيركامو) ، و(كافكا) ، و(جون شتاينبك) ، و(نجيب محفوظ) ، وآخرون ، إذ نجد غالباً في الروايات الواقعية ، أو السيرذاتية شخصيات تُفسرُ العالم من خلال الاعتماد على تقاليد الكتبِ التي تقرؤها[٣] ، ويخبرنا (أحمد خلف) في كتابه (الرواق الطويل) أنَّه تأثّر بهؤلاء الكُتّاب ،

---

(١) البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة ، محمد عزّام ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢م : ٦ .

(٢) الحلم العظيم : ١٣٩ .

(٣) يُنظر : نظريات السرد الحديثة ، والأس مارتن ، تر: د. حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٨٩ .

والـروائيين ، وأنّ أفكـارَهم ، ورؤاهـم هـي المـادة الأوليـة التـي دخلـتْ فـي تكـوين بنيتِـهِ الثقافيـة ، والأدبيـة ، والفكريـة فـي بـواكير شبابه أيـام الدراسـة الإعداديـة ، يقول : ((فـي تلك الأيام كنتُ تعلقتْ تواً برواياتِ همنغواي ، وجون شتاينبك ، ونجيب محفوظ ... ، ولـم يسـبقْ لـي التعـرف علـى كتـب الفلسـفة مـن قبـل سـوى كتـاب سـارتر المُعنـون بـ(الوجوديّة نزعة إنسانيّة) ... ، ومع سارتر تعرفتُ على سيمون دي بوفوار ، وأندريه مالرو ، وألبير كامو ... ، غير أنّ قراءة نيتشة لم تشجعني على الاستمرار في الأفق الفلسفي بقدر ما ترك دستويفسكي لديّ انطباعاً راسخاً أنّ عالمي هو عالم الرواية ، والقصة)) [١] .

إنَّ انهماك (مؤلف القصص / المؤلف) بالقراءةِ أبعده عن حركة المجتمع ، فهو في بداياتِهِ المُبكّرة كان يعيشُ داخل قوقعة صغيرة شبه مغلقة لا تتعدّى حدودَ غرفتِهِ ، وأُسرتِهِ ، بدا للقارئ بلا أصدقاء ، وبلا علاقاتٍ اجتماعية تربطه بالخارج، وكانتْ علاقتُهُ بالخارج تطلُّ من خلالِ نافذتِهِ التي اتخذها مرصداً (يتلصص) عبرها على حركةِ العالم الخارجيّ ، فمنذ مُفتتح الفصل الأول من الرواية تكتشفُ انهماك البطل بالإصغاءِ إلى حركة العالم الخارجي ، يقول السارد : ((مَرْصده كانَ نافذة غرفتِهِ في السطحِ المُطلّةِ على الزّقاقِ يكتفي بمراقبةِ واحدة منهنَّ واحدة لا أكثر))[٢]، وهي جارته[*] السمراء التي أُعجِبَ بجمالِها ، ودلالِها ، وأنّه ((كان يُجيدُ التلصصَ على نافذتها بعد منتصف الليلِ عَلَّه يسمعُ نأمةً ، أو صوتاً ، أو مُناجاةٍ ، لكنّها كانتْ تنامُ بعد ساعةٍ من وقوفِهِ ، تنامُ وتَدَعهُ مُتسمراً أمام النافذة ، لا يأخذُ شيئاً، ولا يعطي شيئاً

---

(١) الرواق الطويل : ٤٧-٥٠ .

(٢) الحلم العظم : ١١ .

(*) جارة الروائي (أحمد خلف) في مدينة الحرية أوائل شبابه . يُنظر الجدول رقم (٣) .

غير الترقّبِ ، والخطيّة)) [١] ، فهو في هذه المرحلة من حياتِهِ اكتفى بالمراقبة ، والتلصصِ ، والتنصتِ ، أي أنّه اكتفى بالرغبة من دون الفعل ، وهذه سمة من سمات البطل الإشكالي[٢] .

وبدأ يتحركُ قليلاً نحو الخارج ، فنكتشف علاقتَهُ الباردة مع أُسرتِهِ ، ولاسيما مع أخيهِ العسكري ، يقول السارد : ((لم يكن بينه ، وبينَ أخيه العسكري المتشدد ، أيّ توافقٍ ، أو انسجامٍ ، والأخير دائماً ينظر إلى مؤلف القصص على أنّه مجرد ولد لا نفعَ من مواصلتِهِ الدراسةِ ما دامَ مُكبّاً على قراءة كتبٍ تتحدّثُ عن حُبّ النساءِ ، وعن الحياةِ السعيدةِ الرّخيّةِ المُنتظرة ... ألمْ يراوحْ في المرحلةِ الإعدادية سنةً إضافيّةً غير السنتينِ المقررتينِ ؟ ...)) [٣] ، وما أنْ يخرج (مؤلف القصص/المؤلف) من شرنقتِهِ الأولى (غرفته) حتى يُطِلُّ على فضاءٍ جديد هو فضاء الكتب ، والقصص ، والروايات التي يقرأها ، ويتماهى مع شخصياتها ، وعوالمها ، وهذا ما نجده مُمَثّلاً أصدقَ تمثيلٍ في شخصيةِ المؤلف الحقيقي (أحمد خلف) ، إذْ ((نستطيع القول أنّ أحمد خلف من المبدعين العصاميينَ ، وقد بدأ اهتمامه بالقراءة في وقتٍ مُبَكّرٍ من حياتِهِ ، وكانَ قارئاً نَهِماً ، وتنوّعَتْ قراءاتُهُ فقادهُ ذلك إلى التعرّف على تجاربِ كبار المبدعين ، واستطاع أنْ يختزنَ ذخيرة ثقافية عملتْ على بلورةِ تجربتهِ فيما بعد)) [٤] .

لقد أغلَقَ (أحمد خلف) في شخصيّة (مؤلف القصص والحكايات) كلّ الأبواب، وأبقى باباً واحداً مفتوحاً على مصراعيه هو باب (حلمِهِ العظيم) في أنْ يصبحَ قاصّاً ،

---

(١) الحلم العظيم : ١٤ .

(٢) يُنظر : البطل الإشكالي ، محمد عَزّام : ١١ .

(٣) الحلم العظيم : ٤٩ .

(٤) أربعون عاماً من الإبداع ، ناطق خَلّوصي ، جريدة الأديب ، السنة الثالثة ، ع١٢٥ : ٢٠٠٦/٦/٢٨ : ٩ .

Abstract

This study is based on the idea of utilizing biography in writing novels because it is the nearest type of writing to novels. This will open the space for their fusion in one literary text in such a way that the novel utilizes the events of the biography to feed the narration while the biography benefits from the techniques of the novel in presenting the events like narrative imagination, description, dialogue, etc. The novel that contains the biography of its author is called 'Biographic Novel'. The researcher has implemented this idea on four by the Iraqi novelist Ahmed Khalaf that included some of, or all his biography. Those novels are "Al Kharaab Al Jameel" (*The Beautiful Ruin*), "Bawwabat Baghdad" (*The Gate of Baghdad*), "Mawt Al Ab" (*Father's Death*), and "AlHulum Al Adheem" (*The Great Dream*). The aim of this study is to discover the biographic reflections in the novels in question, as well as discovering the artistic implementation of biography in the text as in the following:

1. "AlHulum Al Adheem" (*The Great Dream*): which included the author's biography in adolescence and youth in the 1960's? It reveals the troubled social and political reality at that time in Iraq.
2. Al Kharaab Al Jameel" (*The Beautiful Ruin*): contained the biography of the author in his thirties in the 1970's. the novels

them was about the liberation of woman and her right in education and work. The author has utilized the biographic event in it.

3. "Bawwabat Baghdad" (*The Gate of Baghdad*): it contained the author's biography during the First Gulf War in 1991. The novel tells the diary of the basic character (the author) during the first days if the war when the national coalition forces bombed Baghdad by planes and guided missiles. By utilizing biographic event, the novel reveals the suffering of the Iraqis during the war.
4. "Mawt Al Ab" (*Father's Death*): it included the biography of the author during the second half of the 1990's. It was the time of the economic sanctions. The novel falls into three books that contain three different themes. The most prominent one was the theme of looking for the absent. The second was the theme of the missing treasure. The third theme was that of the ultimate authority of the father which represents the dictatorship. The implementation of the biographic event was directed towards criticizing the political reality of Iraq at that time.

The Researcher
Hussein Ali Yousif Al Ma'mouri